

كلمة الرفيق الأمين العام للحزب في المؤتمر القومي العاشر

أيها الرفاق^(١)

ان مؤتمرا القومي العاشر ينعقد في ظروف مصيرية بالنسبة لامتنا العربية ولحزبنا ايضا. وانه من الطبيعي ان يكون هذا المؤتمر مقدرًا لمسئوليته في هذه الظروف وان ينتهي الى نتائج ايجابية مثمرة تؤكد الايمان والعزم على متابعة النضال لبلوغ اهداف الحزب التي هي اهداف الامة.

ان بعض الاجواء النقدية السلبية التي تمر خلال المؤتمرات الحزبية ظاهرة مألوفة دائما بهذا الحزب فهي من طبيعة الاحزاب الثورية وهي من طبيعة الاحزاب الاصيلة التي تؤمن بحرية الرأي وتؤمن بان النضال هو وليد الحرية، وليد الشعور بالمسؤولية، فاذا انتفت الحرية ضعف النضال وتلاشى.

أيها الرفاق

في حزبنا كما في مجتمعنا واجزاء وطننا امور سلبية كثيرة، عوائق مصطنعة، رواسب من الماضي، مهمة الحزب ان يناضل ليتقذ ويخلص نفسه والمجتمع العربي منها. واكبر العوائق وآفة الآفات هي التجزئة في وطننا العربي ثم الاوضاع الجائرة المفروضة على كثير من اقطاره نتيجة النفوذ الاستعماري الذي هو نتيجة لضعف المجتمع وتخلفه ولوجود طبقات مستغلة متحكمة بحرية الشعب وبثروات البلاد وبمقدراتها... ولئن كان حزبنا قد برهن على ثورية اصيلة عندما شق طريقا غير معبدة وغير مألوفة، طريق التنظيم القومي الواحد، ولئن كان قد حقق شيئا لا يستهان

(١) كلمة في المؤتمر القومي العاشر المنعقد ببغداد في آذار / ١٩٧٠.

به، في ربع القرن الاخير من حياة الامة العربية وخاصة على هذا الصعيد اي صعيد توحيد النضال، فان مسافات كبيرة ما تزال تفصله عن الهدف الذي يسعى اليه في ان تتحقق الوحدة فعلا، ليس في الانظمة فحسب وانما في العقول والافكار والمشاعر والعاتات حتى يغدو المجتمع العربي مجتمعا موحدًا متجانسا متأخيا متجاوبا. فاذا القينا ايها الرفاق نظرة هادئة على ما يطرح احيانا في مؤتمراتنا وما يتخللها من آراء ومواقف غير متجانسة ادركنا ان مردها الى التجزئة، الى العوائق التي تحول دون التواصل، دون الاندماج، دون التفاعل بين ابناء الامة الواحدة والوطن الواحد والحزب الواحد.

لقد لاحظت ان بعض الرفاق كان يركز على تجربة من تجارب الحزب والنصف الاخر يركز على تجربة اخرى من تجارب الحزب، اي ان كل نصف كان معنيا بالدرجة الاولى بالتجربة القريبة منه التي عاشها وعانها وذاق مرارتها وبالتالي نشأ عنده التصميم على الا يقع مرة ثانية فيها.

حزبنا في العراق الذي كان دوما الحصن المنيع لفكرة البعث ولنضاله، هذا الحزب نشأ ونما وكبر في قطر من اهم اقطار العروبة، هو القطر الذي تدافع فيه العروبة منذ مئات السنين دفاعا يوميا عن وجودها، وقد ورث حزبنا هذه المهمة وحمل بالاضافة الى دعوته الثورية والنضال من اجلها، حمل ايضا بالنسبة الى ظروف هذا القطر مهمة الدفاع عن الوجود العربي المههد باسسط اشكاله وصوره؟.

لقد مرت على الحزب في العراق تجربة ١٨ تشرين وهي تجربة قاسية، وبالرغم من قسوتها ومن الاضطهاد والتنكيل اللذين تعرض لهما رفاقنا في هذا القطر فقد استطاعوا ان يصمدوا وان يعودوا ليستلموا المسؤوليات القومية في اخرج الظروف فكان طبيعيا ان تنطبع ذكريات تلك التجربة في اذهانهم وذاكرتهم وان يخرجوا منها بالدرس البليغ، وان يحاكموا الامور بجديّة وحرصانة لان النضال في هذا القطر بصورة خاصة نضال حياة او موت، لذلك تطلب الروية والحكمة والواقعية عندما تعالج امور الحزب.

وثمة تجربة اخرى عاشها حزبنا في سوريا هي التي ادت الى نكسة ٢٣ شباط وهي تجربة لا تنقل عن الاولى في قسوتها وفي عنفها، اهم ما يميز التجربة التي انتهت

الى نكسة ١٨ تشرين في العراق هو تلك الطفولة السياسية الثورية التي ظهرت بين افراد قيادة الحزب بعد ١٤ رمضان فجعلتهم يختلفون منذ الاسابيع الاولى، يختلفون على شيء لم يبدأوا بعد بتحقيقه، نسوا الثورة وانشغلوا بانفسهم واشخاصهم فضاعت الثورة، في حين ان الذي يميز تجربة الحزب في سوريا، تلك التجربة التي انتهت بنكسة ٢٣ شباط هو ان فئة متأمرة على الحزب كانت قد بيتت التآمر منذ الوقت الذي كان الحزب فيه منحل التنظيم واستغلت تلك الحالة وبيتت ان تستولي على الحزب وان تستفيد من حالة ضعفه. واقول لكم بالمناسبة لان احد الرفاق تعرض لهذه الناحية، ان الحزب ما كان ليتورط بانقلاب ٨ آذار العسكري وما كان ليتبينه لولا ان سبقته ثورة ١٤ رمضان ولولا انه كان يضع الامل في تلك الثورة ويعتبرها الثورة الشعبية الاصيلة ولم ينفرد الحزب في سوريا، ولا القيادة القومية في هذه النظرة بل شارك في ذلك الحزب في العراق وكان مستعجلا بتبني انقلاب آذار لكي تؤمن الثورة على نفسها في العراق. وكان رفاقنا في العراق يلحون في ان يتبنى الحزب ذلك الانقلاب وقد شاركوا منذ الايام الاولى للثورة في الاجتماعات والمداولات اي ان الثورة وقعت في الثامن من آذار والرفاق العراقيون وصلوا الى دمشق في الحادي عشر.

العظة من تجربة سوريا هي ان عددا من الافراد العسكريين عرفت فيما بعد باللجنة العسكرية، وكان تشكيل هذه اللجنة يحمل طابعا خاصا من فئات معينة في سوريا وكانوا يعتمدون على تكتلات في الجيش وهكذا بدأوا ينفذون خططهم في الاستيلاء على الحزب بتزييفه وبتصديع وبتحطيم قيمه ونظامه وكل مقوماته بينما كان لايزال في بدء نشأته التنظيمية بعد اربع سنوات من حل التنظيم والضياع، بنتيجة ذلك نشاهد الحزب قد تعرض الى الوان من التآمر والتزييف والتسلط الى ان اوصله كل ذلك الى النكسة.

ثمة شيء آخر أيها الرفاق، ثمة ملاحظة يجدر بكم ان تراعوها. الحزب يتحمل مسؤولية الحكم في العراق وللمرة الثانية، والحزب تحمل ولو في ظروف وشروط مختلفة مسؤولية الحكم في سوريا ولو ظاهريا وامام الرأي العام. وان تحمل مسؤولية الحكم توجب نوعا من الجدية والواقعية قد لا يقدرها الرفاق الذين يناضلون في منظمات لانزال ظروفها بعيدة عن امكانية استلام الحزب للحكم، وانا اقول بان واجب الرفاق

ان يعتبروا بان الحزب كله وليس فرعاه في قطر من الاقطار او في قطرين اثنين، حزب البعث كله اصبح في نظر الرأي العام العربي منذ عشر سنوات على الاقل، اصبح حزبا حاكما او مؤهلا لاستلام مسؤوليات الحكم، وهذه الملاحظة توصي بان يتحرر الحزب والرفاق في المنظمات التي لاتزال تناضل نضالا سلبيا، ان يتحرروا من بقايا عقلية طفولية قد تمنعهم احيانا من تقدير الامور بالموازين الواقعية الدقيقة، كما ان الرفاق الذين يتحملون مسؤولية الحكم يجب ان يرحبوا بالنفحة الثورية التي يحملها الرفاق من المنظمات الاخرى، النفحة المبدئية التي ليس لها الا تفسير واحد هو الحرص والاخلاص للحزب بكل فروعه وخاصة في القطر الذي يتحمل مسؤوليات اكبر واضخم. وكنت في كل جلسات المؤتمر اشعر هذا الشعور بان ليس وراء تلك الملاحظات الا المحبة والحرص والتضامن.

اني متأكد أيها الرفاق بانه ليس بين اعضاء حزبنا الا من يريد لتجربة الحزب في العراق ان تنجح وان تقوى وان يقدم لها قسطه من الدعم والمعونة، ولاشك ان المؤتمر سيؤدي هذا الغرض ولكني اعرف ايضا بان حزبنا الثوري الاصيل يزداد نموا ونضجا في نضاله وفي فكره ووعيه وفي تجربته القومية الانسانية وانه يعرف ماهي طبيعة العمل ويحرص عليها وعلى شروطها ويعرف ان التعاون المجدي هو التعاون الذي يتم نتيجة التفاعل في الرأي والنضال والتجارب وهو الذي يتم من خلال نظام الحزب وقيمه وبمطلق الشعور بالمسؤولية والحرية وان اي نوع آخر من التعاون يكون اقل جدوى واكل بكثير مما تتطلبه الحاجات الراهنة في حزبنا وامتنا.

لاشك ان عملية التفاعل هي اصعب عملية ممكنة نظرا لواقع المجتمع العربي المتميز بالتجزئة المصطنعة ونظرا لواقع الحزب ايضا، لان في الحزب فترات انقطاع وثغرات ونواقص اخرت اندماج مختلف الفروع بعضها ببعض واخرت تجانس العقليات وتمائل المستويات الفكرية والنضالية. واهم شيء في الحياة الحزبية هي الثقة بين المناضلين. ولكنني احرص على القول بان الثقة - لانها هي ائمن شيء في نظر المناضل ولانها يمكن ان تثير فيه اعلى مواهبه وامكانياته ليقدمها للنضال - هذه الثقة تأتي في الانفتاح، بان يفتح بعضنا على بعض، وان نعتبر بحقيقة نفسية، ان الذي يبدأ الاخر بالثقة كثيرا ما يجعله بمجرد هذا الموقف جديراً بتلك الثقة. الثقة والكرامة

اعز ما يتمسك به المناضل لان المناضل إذ قبل ان يتعرض لشتى الاخطار وان يعيش عيشة المناضلين فلا يبقى له عزاء في الحياة ودافع ومحرك الا القيم المعنوية . واكبر بلية تصيب حركة ثورية وتقضي عليها هي عندما يفقد هذا الجو، جو القيم المعنوية والثقة والمحبة والكرامة .

أيها الرفاق

جدير بنا ان لانكتفي بالنظرات السلبية وبرؤية الجوانب السلبية في حزبنا وفي مسيرته، صحيح ان هذا معبر عن المثالية والطموح الى الكمال، ولكن المناضل بحاجة كذلك الى الاعتزاز والحماس والامل، والثقة بالنفس، واعتقد ان حزبا ثوريا في مجتمع متخلف صمد ثلاثين عاما وما زال يتابع سيره ونضاله وما يزال محل آمال قسم كبير من الجماهير العربية التي وصلت اليها دعوته واخبار نضاله، هذا الحزب الذي صمد في فترة يصح ان تسمى تاريخية جدير ان يحرك في نفوسنا مشاعر الاعتزاز والامل والثقة بالنفس .

أيها الرفاق

ان حزبنا في العراق الذي هو حزب اصيل كما نعرف وبالتالي يتحرك ويتصرف بفكر الحزب القومي وبمنطقه وشموله يعرف مثل الرفاق الاخرين ان قضية فلسطين هي قضية العرب الاولى وان فيها تتقرر المعركة المصرية بالنسبة لامتنا . واعتقد ان قسما من الرفاق اتوا متأثرين بجو اقطار قريبة جدا من مواجهة العدو الصهيوني وتتعرض للاعتداءات وتعيش بجو المعركة والعمل الفدائي فكان يبدو على ملاحظاتهم النزق والاستعجال وهو امر طبيعي لاعتقد أن احدا يلومهم عليه . فنحن مطالبون بان نقود حزبنا ونرفعه الى اعلى مستوى من الوحدة وحشد الجهود والكفاءات والتضامن والتلاحم حتى يصمد في وجه المؤامرات .

أيها الرفاق:

ان ما يحتاجه حزبنا في هذه المرحلة وهي مرحلة مصيرية الخصة للتبسيط ولعدم الاطالة بشيئين: هو بحاجة الى قيادة مناضلة تجمع اعلى مستويات الفكر والكفاءة لكي تخطط لأكبر واخطر معركة في تاريخنا القومي، عليها يتوقف مصيرنا، مطلوب حشد الادمغة والعقول النيرة المطلعة التي تعيش في هذا العصر وتستطيع ان تخطط

للمستقبل والشيء الثاني الذي يحتاجه الحزب هو عمل في اوساط الجماهير الكادحة ،
واسع عميق ، بالتوعية ومشاركة الشعب في اعماله ومشاكله وفي تعبئته وتجنيدده للمعركة
التي هي قريبة وقادمة لا ريب فيها .

علينا ان نخرج الحزب من الغرف والقاعات نخرج مبادئه وافكاره وتنظيماته
ودراساته وخططه ومشروعاته ونخرج حماسه وايمانه واندفاعاته من هذا الاطار الضيق
الذي يضم العشرات في قيادات ومؤتمرات ونبذره على الارض العربية الواسعة وبين
الجماهير الكادحة . نلقي البذور ونتعهد لها يوميا .

آذار ١٩٧٠